﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣١﴾ [آل عمران: 31]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

بعد أن خُتمت الآية السَّابقة برأفة اللّه بعباده بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾؛ انتقل الخطاب إلى التَّشويقِ بحبِّ اللّه، والاحتكام إلى شرعه، واتِّباعه، فبيّن للمخاطبين جميعهم أنَّ السَّبيل إلى ذلك لا يكون إلَّا باتِّباع نبيِّه ﷺ ولا سبيلَ غيرُه إلى حبِّ اللّه[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَٱتَّبِعُونِي﴾: الجذر (تَبِع) أَصْلٌ وَاحِدٌ لَا يَشِذُّ عَنْهُ مِنَ الْبَابِ شَيْءٌ، وَهُوَ التُّلُوُّ وَالْقَفْوُ، يُقَالُ: تَبِعْتُ فُلَانًا؛ إِذَا تَلَوْتَهُ وَاتَّبَعْتَهُ، وَأَتْبَعْتُهُ؛ إِذَا لَحِقْتَهُ، وَالْأَصْلُ وَاحِدٌ.

والمعنى المحوريُّ: هو لُحُوق الشَّيء بمتقدِّم أو سابقٍ بلا فَصْل مع رقَّة ولين، وقد يكون الاتِّباع حسِّيًّا كمن يتَّبعُ خطوات وعلامات محدَّدة، وقد يكون معنويًّا مثل: اتَّبَع القرآنَ، أي: ائتمَّ به، وعَمِل بما فيه، كأنَّ القرآن أمَامه، وهو يَتْبعه، ويَتَهيَّأ بهيئته الَّتي يرسُمها، كقوله تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [الأعراف: 3]، ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٨﴾ [البقرة: 38]، ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا﴾ [الجاثية: 18].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

يروى في سَبَب نزُول هَذِه الْآيَة ثلاثةُ أقوال:

صدق اتِّباع النَّبيِّ ﷺ من دعوى المحبَّة

أَحدها: أَنَّه خطاب لليَهُود وَالنَّصَارَى من وَفد نَجْرَان، وَذَلِكَ أَنَّهم قَالُوا: ﴿نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ﴾ [المائدة: 18]، فَنزل قَوْله: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾.

وَالثَّانِي: أَنَّه خطاب لمشركي قُرَيْش، فَإِنَّهُ رَآهُمْ يعْبدُونَ الْأَصْنَام، فَقَالَ لَهُم: خالفتم مِلَّة أبيكم إِبْرَاهِيم، فَقَالُوا: إِنَّمَا نعبدهم تقرُّبًا

(1) البقاعي، نظم الدُّرر: 4/332.

إِلَى اللّه، فَإِنَّا نحبُّه؛ فَنزل قَوْله تَعَالَى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[1].

والثَّالث: أنَّ الخطابَ لأقوام كانوا على عهد النَّبيِّ ﷺ فعن الحسن قال: قال أقوام على عهد رسول اللّه ﷺ: يا محمَّد؛ إنَّا لنحبُّ ربَّنا، فأنزل اللّه - ﷻ - بذلك قرآنًا: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾، فجعل اللّه اتِّباع نبيِّه محمَّد ﷺ علمًا لحبِّه[2].

والمعنى: قل أيُّها الرَّسول لقومك ولجميع الناس: إن كنتم تحبُّون اللّه حقًّا؛ فاتَّبعوني، وآمنوا بي ظاهرًا وباطنًا؛ إذ السَّبيلُ الوحيدُ للوصول إلى حبِّ اللّه ورضاه: هو اتِّباعي، واتِّباعُ ما أُرسِلْتُ به من عند اللّه، وإنَّكم إن اتَّبعتموني؛ يُحْبِبكم اللّه، ويَمْحُ ذنوبكم، ويكنْ ذلك سببًا لمغفرة ذنوبكم؛ لأنَّ اللّه تعالى غفور لذنوب عباده، رحيمٌ بهم.

وهذه الآية الكريمة حاكمةٌ على كلِّ من ادَّعى محبَّةَ اللّه تعالى، وليس مُتَّبِعًا لنبيِّه محمَّد ﷺ حقَّ الاتِّباع، مطيعًا له في أمره ونهيه، فإنَّه كاذب في دعواه حتَّى يتابعَ الرَّسولَ ﷺ حقَّ الاتِّباع[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالة الشَّرط وجوابه:

اتِّباعُ الرَّسول هو معيارُ محبَّة الله تعالى

تعليق محبَّة اللّه إيَّاهم على ﴿فَٱتَّبِعُونِى﴾ ينتظم منه قياسٌ شرطيٌّ اقترانيٌّ، ويدلُّ على الحبِّ المزعوم؛ إذا لم يكن معه اتِّباع الرَّسول، فهو حبٌّ كاذب[4]، ولفظ الآية يعمُّ كلَّ من ادَّعى محبَّة اللّه[5]، فالطَّريق الموصل إلى رضاه تعالى إنَّما هو مستفاد من نبيِّه ﷺ فإنَّه هو المبيِّن عن اللّه تعالى؛ إذ لا يهتدي العقل إلى معرفة

(1) السّمعاني، تفسير السّمعاني: 1/310.
(2) رواه الطبري، جامع البيان: 3/155.
(3) السّمعاني، تفسير السّمعاني: 1/310، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 2/32، ونخبة من العلماء، التفسير الميسر، ص: 54.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 3/225.
(5) أبو حيان، البحر المحيط: 3/103.

أحكام الله في العبادات ولا في غيرها، بل رسوله ﷺ هو الموضِّح لذلك، فكان اتِّباعه فيما أتى به احتماءً لمن يحبُّ أن يعمل بطاعة الله تعالى[1].

ولمّا كان الخطاب - بحسب النُّزول - موجَّهًا إلى نصارى نجران أو بعض أحبار اليهود؛ فأمكن أن يكون بعدها لكلِّ أحدٍ يدَّعي محبَّة الله من المسلمين أو من غيرهم، فيقال له: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾، فيصير التَّعبير كالمثل السائر الَّذي يقال في مواقف مشابهة لما قيل فيه أصلًا، قال بعضُ الحكماءِ: "ليس الشَّأنُ أن تُحِبَّ، إنَّما الشَّأنُ أن تُحَبَّ"، وقال الحسنُ البصريُّ: "زعم قومٌ أنَّهم يحبُّون اللهَ، فابتلاهم اللهُ بهذه الآيةِ، فقال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾"[2].

دلالة تكرارِ اسم الجَلالة ﴿ٱللَّهُ﴾ في مَقامي الحبِّ:

التَّلذُّذ بذكر اسم الله من أعظم دلالات الحبِّ لله سبحانه

ادَّعى نصارى نجران أو بعض أحبار اليهود أنَّهم يحبُّون الله تعالى، وكانوا يظهرون الرَّغبة في أن يحبَّهم الله تعالى، فنزلت الآية فيهم، وورد ذكر الاسم الجليل ﴿ٱللَّهُ﴾ في قوله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى﴾، ثُمَّ أتبعها بقوله: ﴿يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾، فتكرَّر ذكره في موضع الإضمار؛ لأنَّ الله هو المألوه الَّذي تألهه القلوب، وتتعلَّق به محبَّةً وتعظيمًا وإجلالًا وإنابةً[3]، وهو - سبحانه وتعالى - يحبُّ كلَّ من أطاعه.

ثم إنَّه ليس في متابعة الرَّسول إلَّا أنَّه دعاكم إلى طاعة الله تعالى وتعظيمه وترك تعظيم غيره، ومن أحبَّ الله؛ كان راغبًا فيه؛ لأنَّ المحبَّة توجب الإقبال بالكلِّيَّة على المحبوب والإعراض بالكلِّيَّة عن غير المحبوب[4]؛ لذا حَسُنَ التَّكرار تلذُّذًا بِذِكْرِ الاسم الجليل في مقام الحُبِّ وموجباته.

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 3/103.
(2) ابن كثير: تفسير ابن كثير: 2/32.
(3) ابن القيِّم، مدارج السالكين: 3/27.
(4) الرّازي، مفاتيح الغيب: 8/17.

جمال التَّذييل بقوله: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾:

الـسَّـعـي لتحصيل أسباب المغفرة والرَّحمة

قوله: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لمن تحبَّب إليه بطاعته واتِّباع نبيِّه[1] -ﷺ- ولم يُذكر متعلَّق الصِّفتين؛ ليكون النَّاس ساعين في تحصيل أسباب المغفرة والرَّحمة[2]، فيكون معنى قوله: ﴿وَٱللَّـهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، أي: لمن يتحبَّب إليه بطاعته، ويتقرّب إليه باتِّباع نبيِّه ﷺ فهو تذييلٌ مقرِّرٌ لمَا قبلَهُ، مع زيادة وعد الرَّحمةِ، ووضعُ الاسمِ الجليلِ موضعَ الضَّمير، للإشعار باستتباع وصفِ الألوهيَّة للمغفرة والرَّحمة[3].

(1) البيضاوي، أنوار التّنزيل: 2/13.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 3/228.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/25.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع، سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 4 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-55-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 4 : سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-55-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5828584 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»